المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي : ابن حزم الاندلسي نموذجاً
المصدر:	عالم التربية
الناشر:	المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية
المؤلف الرئيسي:	خميس، لطيفة على محمد
المجلد/العدد:	س15, ع48
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	341 - 363
DOI:	10.12816/0026444
رقم MD:	649103
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الصداقة، الصداقة في التراث الإسلامي، الأندلسي، ابن حزم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/649103

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

خميس، لطيفة على محمد. (2014). مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي: ابن حزم الاندلسي نموذجاً.عالم التربية، س15, ع48- 341 ، 363. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/649103

إسلوب MLA

خميس، لطيفة على محمد. "مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي: ابن حزم الاندلسي نموذجاً."عالم التربيةس15, ع48 (2014): 341 - 363. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/649103

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي
ابن حزم الأندلسي نموذجاً

لطفيه علي محمد خميس

محاضر مساعد بكلية الآداب – جامعة الجبل الغربي - ليبيا

وباحثة دكتوراه بقسم الفلسفة – جامعة النيلين - السودان

مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي
ابن حزم الأندلسي نموذجاً

لطفيه علي محمد خميس (*)

مقدمة :

تعد الصداقة من القيم الشخصية الاجتماعية التي تعبر عن قدرة الفرد على بناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتمكنا من التخلص من الأنا والأخذ بالوفاء والإخلاص المتبادل ، وهي حاجة نفسية اجتماعية ، وتوطيد علاقة الصداقة ليس بالأمر السهل والبسيط لان درجات التقبل الاجتماعي تختلف باختلاف مكونات الشخصية والمواقف الاجتماعية ، ويتوقف القبول والرفض في الصداقة على مدى القبول النفسي ، والصداقة على خلاف غيرها من العلاقات كالزمالة والمعرفة والصحبة فهي تسمح للأصدقاء بأن يناقشوا كل أمور حياتهم تقريبا بما تشتمل عليه من أنشطة واهتمامات بصراحة وصدق وشفافية ، وكثيراً ما سجلت كتب التراث أقوالاً وأشعاراً وقصصاً متباينة وأحيانا متناقضة عن الأصدقاء وأخبارهم وعن الصداقة وشروطها ، ويبحث الإنسان في صداقته مع الآخرين عن صدق العلاقة بأكبر قدر من الصدق ، وإن لم يجد فبأقل قدر من الكذب ، والصداقة علاقة قائمة على الاختيار الشخصي المنزه عن المصلحة الذاتية ، والثقة المتبادلة ولكي تنشط الصداقة لا بد من توافر التقارب المثالي والوجداني والاجتماعي والعمري بين المتصادقين على إختلاف جنسهم ونوعهم ، ويختلف مفهوم الصداقة اليوم عن ذي قبل أي أن الصداقة كانت تعني الحب والمساعدة والوفاء وكانت تخلو من جميع أنواع الخبث والمصلحة ، وكان الصديق يحمل كافة معاني الصدق والصداقة وما نشهده اليوم من تغيير بمعنى الصداقة ، فأصبحت بنظر الأصدقاء صفة قديمة وتراث من تراثنا العربي القديم .

(*) محاضر مساعد بكلية الآداب – جامعة الجبل الغربي – ليبيا ، وباحثة دكتوراه بقسم الفلسفة جامعة النيلين – السودان .

وقد اعتنى مفكرو الإسلام بدراسة موضوع الصداقة ، وعلى الرغم من تفضيل الصداقة على الحب إلا أن تناول موضوع الحب من قبل الأدباء والفلاسفة والكتاب كان أكثر ، ويجمع الفكر الإسلامي على أن الصداقة أفضل قيمة وأشمل من الحب ، لأن الصداقة تأتي بعد مرور زمن من المخالطة والمعاشرة والتجارب المعاشة .

والحب والصداقة يتشابهان في وجوه عدة ، غير أنهم يختلفان في مظاهر أساسية تجعل من الحب علاقة أعمق إلا أنها أقل استقراراً ، والحب يأتي فجأة وبدون موعد ، وقد نال موضوع الصداقة اهتماماً واسعاً منذ القدم وجاهد أصحاب الفكر والأقلام على أن يتناولوه بشي من الوعظ والإرشاد ، وكان هذا هو الطابع السائد والغالب على كتاباتهم وقد درس باهتمام واسع عند التراثين اليوناني والإسلامي ، وهذا الاهتمام عريق قديم قدم التاريخ ، مرتبط بظهور الإنسان .

وقد جاءت الدراسة على النحو الأتي :

المقدمة .

مفهوم الصداقة في اللغة والمصطلح العربي .

مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي .

التعريف بابن حزم .

معايشة ابن حزم لأصدقائه .

تعريف الصداقة عند ابن حزم .

مراتب الصداقة عند ابن حزم .

صفات الصديق الفاضل عند ابن حزم .

قائمة المصادر والمراجع .

مفهوم الصداقة في اللغة والمصطلح العربي :

جاء في لسان العرب لابن منظور إن الصداقة من الصدق ، والصدق نقيض الكذب . وبهذا تكون الصداقة هي صدق النصيحة والإخاء ، والصديق هو المصادق لك ، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء ، وأصادق ، وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق [١]

وجاء في كتاب " الفروق في اللغة " لأبي هلال العسكري : إن الصداقة تعني اتفاق الضمائر على المودة ، وهو يفرق بين الصاحب والقرين ، إذ تفيد الصحبة انتفاع أحد الصاحبين بالآخر ، ولهذا يقال للأدميين خاصة . فيقال صحب زيد عمرا .

ولا يقال صحب النجم النجم ، وأصله في العربية الحفظ ، أما المقارنة فتفيد قيام أحد القرينين مع الآخر وجريانه على طريقته وإن لم ينفعه ، ومن ثم قيل قران النجوم ، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الأخر قرينان [٢] .

مفهوم الصداقة في التراث الإسلامي :

أما في التراث العربي والإسلامي فقد وردت عدة تعريفات للصداقة تختلف حسب المفهوم والحالة ، وتعتبر الصداقة رباط مقدس ، وكثيراً ما راعى الدين الإسلامي العلاقات الاجتماعية وأولاها اهتماماً كبيراً .

وقد ظهرت محاولات عدة على يد بعض المفكرين العرب ، وسنشير على سبيل المثال إلى ذكر بعض هذه الأعمال ، فكتب عبد الله ابن المقفع باب بعنوان " في معاملة الصديق " ضمن كتابه " الأدب الكبير " ، وابن مسكويه في كتابه " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " ، وأبي حامد الغزالي " وكتابه بداية الهداية " " وكتاب أبي نجيب الدين السهروردي " " آداب المريدين " ، و " كتاب أدب الدنيا والدين " لأبي الحسن الماوردي ، " وأبرزها كتاب الصداقة والصديق " لأبي حيان

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ص ٢٤١٧ – ٢٤١٨ .

(٢) أبي هلال العسكري : الفروق في اللغة ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

التوحيدي ، وترجع أهمية هذا الكتاب أنه قد خصص بأكمله لموضوع الصداقة ، وجمع العديد من الأقوال المأثورة في الصداقة والتي يغلب عليها الطابع الأدبي .

ويذكر أبو حيان التوحيدي تعريف للصديق فيذكر (أنه لفظ مشتق من الصدق ، وهو خلاف الكذب ، أو من الصدق ، حيث يقال رمح صدق ، أي صلب، وعلى الوجهين يكون الصديق صادق (أي غير كاذب) إذا تحدث ويكون صادقاً (أي صلباً جاداً) إذا عمل [١]

(والصداقة) مشتقه من الصدق في المودة، والصديق " يصدقك في مودته"، والصدق هو قوة في الشي خلافاً للكذب [٢] ، والصدق قوة أخلاقية [٣] .

(والصداقة) حاجة فطرية غريزية للإنسان ولها دور في استقرار حياة الفرد وتطور المجتمع ، فلإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده فهو يتأثر بالآخرين ويؤثر فيهم ، فهو يتفاعل مع من حوله ايجابياً ليشكل المجتمع المتكامل .

والصداقة هي علاقة اجتماعية بين شخصين أو أكثر على أساس من المودة والتعاون بينهم والصداقة علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء [٤] .

وقد قال الرسول ﷺ **(إن الله جبل قلوب عباده علي حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها)** [٥] .

وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : **(اعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم)** [٦] .

---

(١) أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، ص ٩٤ .

(٢) سعاد الحكيم : المعجم الصوفي ، ص ٦٨٤ .

(٣) فرانسوا أيوب : ترجمة قاموس لاروس الفلسفي ، ص ٤٥٠ .

(٤) ابراهيم مذكور : المعجم الوجيز ، ص ٣٦٢ .

(٥) ابو محمد الحسن الحرابي : تحف العقول ، ص ٤٣ .

(٦) هادي المدرسي : الصداقة والأصدقاء ، ص ٣٤ .

وقال الإمام علي ﷺ : (**الصديق أقرب الأقرباء**) [١]، ويقول الله ﷻ ﴿فمالنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [٢] .

وقال الإمام علي ﷺ (**عند زوال القدرة يتبين الصديق من العدو**) وقال أيضا ﷺ في الشدة يختبر الصديق [٣] .

وقال الإمام علي ﷺ (**لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته وغيبته ووفاته**) [٤] .

والصديق الذي نقصده هو الصديق المتمسك بقيم ومبادئ الدين الإسلامي ، وكما نعلم إن المؤسسات الاجتماعية التربوية لها دور كبير في ترشيد وتعليم النش، ويلعب الصديق المخلص المسلم دور كبير في ترسيخ وتلقين وتعميق التعاليم والمبادئ للنشء ، فقد أهتم الإسلام بالصحبة ، وأمرنا بصحبة الأصدقاء الصادقين، يقول في كتابه العزيز ﴿ يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [٥] وكذلك بصحبة الصابرين ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [٦] ونهى عن صحبة الظالمين ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ [٧]

ولقد جعل الفكر الإسلامي الصداقة فوق كل علاقة اجتماعية ، فكانت كلمة المخالة والخليل تستعمل في القرن الأول الهجري – السابع الميلادي بمعنى

---

(١) محمد الرشهري : ميزان الحكمة ، ص ١٥٨٢ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٠٠ – ١٠١ .

(٣) ميزان الحكمة ، ص ١٥٩٠ .

(٤) عبد الحسن الفاحي : الصحبة ، الصداقة ، الأخوة ، ص ٣٩ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٦) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

(٧) سورة الفرقان : الآية ٢٦ – ٢٨ .

الصداقة ، وكان اشرف لقب في الإسلام لقب الصحابي وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأمن به وتشرف بصحبته ، فالصاحب معلم لصاحبه تتطبع صفاته في نفس صاحبه وتنتقل أخلاقة إلى أخلاقة ، والناس يختلفون في اختيار الصديق والجليس باختلاف أفكارهم وأرائهم وطبائعهم وميولهم ، والأصدقاء ليس كلهم على درجة واحدة بل يختلفون ويتفاوتون ، فمنهم من لا نستغني عنهم ومنهم من تفرضه الظروف ، وبعضهم شراً في صحبته ، ويحتاج الأفراد لتكوين علاقات وصداقات وأصحاب وأخباب يأنسون إليهم في وقت فراغهم ويساعدونهم عند شددتهم ويستشيرونهم فيما يلم بهم ، أصدقاء يخصون إلى قصص أحزاننا ، فنحظى منهم بكلمات الدعم والتشجيع أصدقاء يشاركوننا أفراحنا وألوان النشاط التي نقوم بها ، لان الحياة تبدو أكثر ارتواء بتبادل الآراء والخبرات ، وهذا أمر قد جبلت وفطرت عليه النفس البشرية ، ولا يمكن لها أن تنفك عنه ، ونظراً لأهمية الصديق فمن الضروري أن تكون هناك ضوابط وقواعد لاختيار الصديق ، وإلا أصيب الإنسان بالضرر والنعت .

التعريف بابن حزم :

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن اميه بن عبد شمس القرشي ، الأندلسي ، الإمام العلامة الشاعر الأديب ، المفكر ، الوزير بن الوزير وكنيته أبو محمد ، وشهرته أبن حزم ويلقب بالقرطبي نسبة إلى موطن ولادته ونشأته قرطبة [1] .

أما عن تاريخ ميلاده يقول : القاضي صاعد بن أحمد: كتب إلى ابن حزم بخطه يقول (ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي في ربض منيه المغيرة , قبل

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ٣٢٥ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ص ١٦٥٠ ، طبقات الأمم : للقاضي صاعد ، ص ٨٦ ، ونفح الطيب : للمقري ، ص ٧٧ ، بغية الملتمس : للضبي ، ص ١٢٠٤ .

طلوع الشمس أخر ليلة الأربعاء , أخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة) [١] .

معايشة ابن حزم لأصدقائه :

قضى ابن حزم حياته بين قرطبة والمرية وميورقة والقيروان وغيرها من المناطق الأخرى بين حل وترحال والبعد عن الأوطان وقد مكنه علمه واطلاعه من الاتصال برجال السياسة والعلم والأدب في زمانه ، والاتصال المباشر بإعلام عصره من فقهاء وكتاب وشعراء ، وان تنشى بينه وبينهم صداقات وعلاقات مودة، كما أهلته صفاته النفسية والخلقية إلى ذلك ، لما امتاز به من أدب وحسن خلق ووفاء وصدق .

كما جمعته أيام الصبا والدراسة والمحن بزمرة من الأصدقاء والرفاق وكان من جملة أصدقائه عبد الله المستظهر الذي تولى الخلافة في رمضان سنة ٤١٤هـ- ١٠٢٣م استوزره ولكنه لم يبق في هذا المنصب أكثر من خمسة وأربعين يوماً ، فقد قتل المستظهر ، وسجن ابن حزم ثم عفى عنه وعاد إلى الوزارة مرة أخرى أيام هشام المعتد بالله [٢] .

ومن أكثر أصدقائه شهرة ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد المعروف (بابن شهيد الأندلسي) وقد أرسل إلى صديقه الحميم أبى محمد بن حزم بأبياته المعروفة التي يبوح فيها بأسرار أحلامه ويصف إثناءها الأمة إذا يقول :

ولما رأيت العيش ولي برأسه وأيقنت إن الموت لا شك لاحقي

ومن شعره في الصداقة والأخوة ما جاوب به أيضا صديقه أبا عامر بن شهيد فقد كتب إليه في أبيات مؤثرة جدا لما مرض مرضه الأخير يطلب من ابن حزم ان يقوم بتأبينه يوم وفاته، ويشيع ذكره ، ويدعو له بالمغفرة والرحمة وفي هذه القصيدة يذكره بصداقته والمودة التي تجمع بينهما قائلا :

---

(١) ابن خلكان : ص ٣٢٥ ، وطبقات الأمم ، ص ٨٦ .

(٢) الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح الدين بسيوني ، ص ٢٧ .

تصنيت اني ســـاكن فـــي غيابـــه بأعلى مهب الريح في رأس شاهق[١]

ادر سقيط الحب فـــي فضل عيشه وحيدا واحسبوا الماء ثنى المفالق

خليلـــي مـــن رام المنيـــه مـــرة فقـــد رمتها خمسين قوله صادق

كأني وقد حان ارتحالـــي لم أفـــز قديما مـــن الدنيـــا يلمحـــه بأرق

فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لي يدا في ملماتـــي وعنـــد مضايقي

عليـــك سلام الله إنـــي مفـــارق وحسبك زادا من حـــبيب مفارق

فلا تنـــس تأبيني إذا ما فقـــدتني وتذكـــار أيامي وفضـــل خلائقي

ولم يكن ابن حزم أقل منه وفاء وتعلقا بالصداقة . فقد رد عليه بأبيات كلها عطف ومواساة ودعاء له بالنجاة لأنه هو أيضا يعتبر من أعظم النعمى بقاء المصادق :

أبا عامـــر ناديت خـــلا مصافيا يفديك من دهم الخطوب الطوارق [٢]

والفيت قلبا مخلصا لكم محضا بودك موصول العرى والعلائق

شـــدائد يجلوهـــا الإلاه بلطفه فلا تأس إن الدهر جم المضايق [٣]

فإن تنج قلت الحمد لله مخلصا فمن أعظم النعمى بقاء المصادق

- ومن أصدقاءه أيضا ابن الطبني (عبد الله محمد بن يحي الحسين التميمي) الذي يقول عنه (لم اشهد له مثلا حسنا وجمالا وخلقا وعفة وتصاونا وادبا وفهما , وحلما ووفاء وسؤددا وطهارة وكرما ودماثة وحلاوة ولباقة , وإعطاء وعقلا ومرؤة ودينا ودراية وحفظا للقران والحديث والنحو واللغة , شاعرا معلقا حسن الخط وبليغا في حفظ صالح من الكلام والجذل ,.. وكنت انا وهو

---

(١) المرجع نفسه : ص ١١٩ .

(٢) ابن شهيد الاندلسي : الشاذلي ابو يحي ، ص ١١٤ .

(٣) الشاذلي يحي ، ص ١١٤ .

متقاربين في السنان , وكنا ألفين لا نفترق وخدنين لا يجري الماء بيننا الا صفاء) [١] .

- أخوة أبو بكر كان من اعز أصدقاؤه ولقد ذكره ابن حزم في الطوق في أكثر من موضع فيقول " وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله ، وكان متزوجا بعاتكة بنت قند ، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد بن عامر، .. إلى أن توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة " [٢] .
- ابن عمه المغيرة الذي كان من اعز أصدقائه إلا أنه ناصبه العداء والحسد يقول صلاح الدين بسيوني في كتابه الأخلاق والسياسة عند ابن حزم " ومن نكبات الزمان أيضا أنه كان في أسرة ابن حزم من ناصبه العداء والحسد ، وهو ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم ، الوزير الكاتب الأديب ، يخذله ويعين الزمان عليه بدلا من تشجيعه على الزمان ، وهو الذي كان من حقه ان يكون أول فخور به " [٣]

وكما كتب ابن حزم قصائد ود ومودة ووفاء كتب أيضا قصائد مغايرة لما راه من أبناء قومه وبلده وعصره فكتب قصيدة طويلة ويرجع السبب " أن قوماً من مخالفي شرقوا بي فأساءوا العتب في وجهي وقذفوني بأني اعضد الباطل بحجتي ، عجزا منهم عن مقاومة ما أوردته من نصر الحق وأهله ، وحسداً لي ، فقلت وخاطبت بقصيدتي بعض إخواني وكان ذا فهم ، منها :

وخذني عصا موسى وهات جميعهم ولو أنهم حيات ضال نضانض [٤]

ومنها :

يذيعون في عيبي عجائب جمة وقد يتمنى الليث والليث رابض

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٣١ .
(٢) الطوق ، ص ١٣٠ .
(٣) صلاح الدين بسيوني ، ص ٢٦ .
(٤) الطوق ، ص ٩٨ .

ومنها :

ولو جلـدي في كل قلــب ومهجــة لما أثرت فيهــا العيون المرائض [١]

أبت عن دني الوصف ضربة لازب كما ابت الفعل الحروف الخوافض

ومنها :

ورأيي له في كل ما غــاب مسلك كما تسلك الجسم العروق النوابض

يبين مدب النمل في غيرب مشك ويســتر عنهم للفيــول المرابض

فهذه هي الصداقة شعور جميل بتأكد بالمودة والعدة والوفاء بين الأشخاص نفعله العتاب و.. ويوضح ذلك ابن حزم في الفرق فيقول " وكان لي مرة صديق، ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلها ، وحينما علم كل واحد منا بسر صاحبه سقطت مأنته ، فلما تغير علي أفشى كل ما أطلع لي عليه مما كنت اطلعت منه على أضعافه ، ثم اتصل به أن قوله في قد بلغني ، فجزع لذلك وخشي أن أقارضه على قبيح فعلته ، وبلغني ذلك فكتبت أليه شعراً أؤنسه فيه ، وأعلمه أني لا أقارضه" [٢] .

فالكذب صفة من مذمومة واصل كل فاحشه وجامع كل سوء ، وجالب لمقت الله ﷻ .

كان ابن حزم دائم الحرص على حسن معاشرة أصدقائه فكان يلوم صديقه إذا ابتعد عنه وتناسى وده ، بينما لم ينس هو ولم يهجر ، بل حافظ على العهد والود ، فكان يعاتب أصدقاؤه بالشعر أحيانا ، وبالمراسلة أحيانا أخرى ، ويضع للعتاب حدا على أن يكون العتاب قليلا ومقبولا ولطيفا ، فيقول في طوق الحمامة :

" ولا عمري أن فيه إذا كان قليلا للذة ، وأما إذا تفاقم فهو فأل غير محمود ، وأما وبيئة المصدر ، وعلامة سوء ، وهي بجملة الأمر مطية الهجران ، ورائد

---

(١) الطوق ، ص ٩٨ .

(٢) الطوق ، ٩٤ .

الصريمة ، ونتيجة التجني ، وعنوان الثقل ، ورسول الانفصال ، وداعية القلى ، ومقدمة الصد ، وإنما يستحسن إذا لطف وكان أصله الإشفاق ، وفي ذلك أقول :

لعلك بعـد عتبـك أن تجودا ... بما منه عتبت وأن تزيـدا [1]

فكم يـوم رأينا فيـه صحواً ... وأسـمعنا باخرة الرعـودا

وعاد الصحو بعد كما علمنا ... وأنت كذاك نرجو أن تعودا

ويقول معاتباً احد اصدقاؤه في طوق الحمامة في ذلك الوقت (وكان لي في بعض الزمن صديقان ، وكانا أخوين فغابا في سفر ثم قدما ، وقد أصابني رمد فتأخرا عن عيادتي ، فكتبت إليهما ، والمخاطبة للأكبر منهما ، شعراً منه :

وكنت أعـدد أيضاً على ... أخيـك بمؤلمـة السـامع [2]

ولكن إذا الدجن غطى ذكاء ... فما الظن بالقمـر الطالـع

وهو على كل حال عتاب لطيف إثر غيظ عابر خفيف ، لان الغالب على علاقته بأصدقائه وفاء الصديق للصديق ، إلا إذا أيقن أن صديقه قد اخل بصداقته ، وسعى به بما الحق به الضرر أو نال من سمعته ، أو استنقص من علمه ومكانته العلمية ، فانه يعده آنذاك من أعدائه ، وينكر له وتنقلب مودته حقدا وبغضا شأن كل عاطفي حساس ، فعلى قدر عمق المودة تكون شدة الهجر والعداوة ، لان الوفاء عند ابن حزم من حميد الغرائز ، وكريم الشيم وفاصل الأخلاق ومن أولى مرتبة أن يفي الإنسان لمن يفي له ، وهذا فرض لازم وحق واجب ، وبما إن الوفاء صفة محبوبة بين الأصدقاء ، فقد جبل ابن حزم على الوفاء ، ويؤكد ذلك بقوله :

لي خلتان أذاقاني الأسى جرعاً ... ونغصا عيشـي واستهلكا جلدي[3]

كلتاهما تطبيني نحو جبلتهـا ... كالصيد ينشب بين الذئب والأسد

---

(١) طوق الحمامة في الألفة والآلاف: ابن حزم الأندلسي، تحقيق عفيف نايف حاطوم، ص ٨٦.

(٢) طوق الحمامة ، ص ٨٦ .

(٣) طوق الحمامة ، ص ١٢٩ .

وفاء صدق فما فارقت ذا مقة فزال حزني عليه أخر الآبد

وعزة لا يحل الضيم ساحتها صرافة فيه بالأموال والولد

وقد يتعكر صفو العلاقة بين الصديقين ويدلل ذلك بقوله " وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافأة الأذى بمثله، والكف عن سيء المقارضة ، بالفعل ، والقول، والتأني في صرم حبل الصحبة ما أمكن ورجيت الألفة وطمع في الرجعة " [١] .

وإن كان ابن حزم قد شكا من بعض الحساد والمناوئين من أهل عصره ، وتحسر على افتقاد كثير من القيم كقيمة المحبة والوفاء والمودة بين الناس والعلم ، فانه بالمقابل له أشعار في تمجيد الصداقة والمودة التي مازالت تربطه ببعض رجالات وأدباء عصره ، الذين ذكرهم في أشعاره منهم عبد الله بن عبد الرحمن بن المغيره " ابن أمير المؤمنين الناصر ، والذي طلب منه في إحدى رسائله إليه أن يؤلف له كتاباً في الحب وأغراضه وأسراره وبواعثه وفوائده وأضراره وكان صديق لابن حزم ، ومما قاله ، موجها الخطاب لهذا الصديق مؤكدا فيه على المودة التي تجمع بينها ، هذه الأبيات :

أودك وليس فيه غضاضة وبعض مودات الرجال سراب [٢]

وأمحضك النصح الصريح وفي الحشا لودك نقش ظاهر وكتاب

فلو كان في روحي سواك اقتلعته ومزق بالكفين عنه إهاب

وما لي غير الود منك إرادة ولا في سواه لي إليك خطاب

إذا حزته فالأرض جمعاء والورى هباء وسكان البلاد ذباب

ذكر صفات الصديق المخلص الذي يعلم بأمر المحبوبين ويكتم السر فان تعلقه بأصدقائه ووفاءه لهم وبقاءه على العهد معهم ، وعمق عاطفة المودة عنده وذلك إلى أخر رمق من حياته ، فكان لكل ذلك صداه شعره .

---

(١) الطوق ، ص ٩٣ .

(٢) الطوق ، ص ١٤ .

إن عاطفة الصداقة التي تسمو عواطفها إلى درجة من التعليق والإخلاص والوفاء والتضحية فيعبر عنها بلغه الشعر بالمودة الصادقة فمدح أصدقاؤه الأمراء بما أعجب بهم ورثي من مات منهم فان المودة عنده قد يصحبها الإعجاب بالمقال الحميده .

لقد عانى ابن حزم من حضيرة مات المعاصرين له بن جعلوا كل همهم العمل على تفيد من هذه ولم يجد ابن حزم عند فقهاء عصره قبولا ، وقد عاش الشعراء الأكبر من حياته في عنت وأذى ومضايقات دفاعا عن آرائه التي تفرديها.

فضياف به علماء عصره واشه روا عليه حرب عوان ن فاخر من كتبه في عهد المقتصر بن عياد حاكم أشيله .

تناول ابن حزم الأندلسي موضوع الصداقة من الناحية النفسية والأخلاقية ، وقد وضح مفهوم الصداقة ومراتبها وشروطها وأنواعها وصفاتها .

تعريف الصداقة :

يعرف ابن حزم الصداقة لغوياً فيقول :

الصداقة هو أن يكون المرء يسوؤه ما ساء الآخر ، ويسره ما سره ، فما سفل عن هذا فليس صديقاً ، ومن حمل هذه الصفة فهو صديق [١] .

ومعناها إن لديك مشاعر اتجاه شخص معين وهذه المشاعر بالتحديد الفرح بالشيء الذي يفرح الأخر ، والحزن من الشئ الذي يحزنه ، فإذا كنت مسروراً كان كذلك، وإذا كنت مستاء كان كذلك عليه فإذا امتلكت هذا الشعور فأنت صديق له في عرف العرب حتى لو لم يكن يعرف الأخر بما تكنه له من مشاعر ، لكن الإمام ابن حزم رضي الله عنه لم يتوقف عند ذلك ، بل جعل هناك فارقاً بينما ذكره عن الصداقة وبين المصادقة فذكر (**إن المصادقة يقتضي فعلاً من فاعلين**) [٢] ،

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم ، ص ٣٦١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦١ .

أي لا بد إن كلاهما مهتماً بالأخر ، وكل منهما يسره ما يسر الأخر ، ويسوؤه ما يسوؤه ، فإذا كان الشعور من طرف واحد فهو صداقة ، وإن كان الشعور متبادلاً بين الطرفين فهو مصادقة .

مراتب الصداقة عند ابن حزم :

وللصداقة مراتب عند ابن حزم أقلها الشعور بالفرح ، والاستياء لما يفرح ويسوؤ الآخر ، وأعلى مراتبها المشاركة بالنفس والمال ، والإيثار على الآخرين بدون سبب يدعو بذلك ، والصديق الحق عند ابن حزم قليل هذا الزمان وهو الذي يسره ما سر صديقه ويسوؤه ما أساء صديقه ، وان وجد مثل هذا الصديق فان ابرز ما يتطلبه فيه ابن حزم هو التحلي بالصفات الفاضلة وتوجه بعدة نصائح إلى الأصدقاء ، والصديق الفاضل عند ابن حزم هو نعمة وهبه يهبها الله لمن يشاء من عباده ، وقد افرد لها في مؤلفه طوق الحمامة باباً أطلق عليه أسم (باب المساعدة من الإخوان) .

فيقول فيه " ومن الأسباب المتمناه في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقاً مخلصاً ، لطيف القول ، بسيط الطول ، حسن المأخذ ، دقيق المنفذ ، متمكن البيان ، مرهف اللسان ، جليل الحلم ، واسع العلم ، قليل المخالفة ، عظيم المساعفة ، شديد الاحتمال ، صابراً على الإذلال ، جم الموافقة ، جميل المخالفة ، مستوي المطابقة ، محمود الخلائق ، مكفوف البوائق ، محتوم المساعدة ، كارهاً للمباعدة ، نبيل المداخل مصروف الغوائل ، غامض المعاني ، عارفاً بالأماني ، طيب الأخلاق ، سري الأعراق ، مكتوم السر ، كثير البر ، صحيح الأمانة ، مأمون الخيانة ، كريم النفس ، صحيح الحدس ، مضمون العون ، كامل الصون ، مشهور الوفاء ، ظاهر الغناء ، ثابت القريحة ، مبذول النصيحة ، مستيقن الوداد ، سهل الانقياد ، حسن الاعتقاد ، صادق اللهجة ، خفيف المهجة ، عفيف الطباع ، رحب الذراع ، واسع الصدر ، متخلفاً بالصبر ، يألف الإمحاض ، ولا يعرف الإعراض ، يستريح إليه ببلابلة ، ويشاركه في خلوة فكرة ، ويفاوضه في مكتوماته ، وإن فيه للمحب لأعظم الراحات ، وأين هذا ؟! فإن ظفرت به يداك

فشدهما عليه شد الضنين ، وأمسك بهما إمساك البخيل ، وصنه بطارفك وتالدك ، فمعه يكمل الأنس ، وتنجلي الأحزان ويقصر الزمان ، وتطيب الأحوال . ولن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً ، ورأياً حسناً ، ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والدخلاء كي يخففوا عنهم بعض ما حملوه من شديد الأمور وطوقوه من باهظ الأحمال ، ولكي يستغنوا بارائهم ، ويستمدوا بكفايتهم ، والإ فليس في قوة الطبيعة أن تقاوم كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها ، ولقد كان بعض المحبين – لعدمه هذه الصفة من الإخوان ، وقلة ثقته منهم لما جربه من الناس وأنه لم يعدم ممن باح إليه بشيء من سره أحد وجهين : إما إزراء على راية وإما إذاعة لسره – أقام الوحدة مقام الأنس ، وكان ينفرد في المكان النازح عن الأنيس ، ويناجي الهواء ، ويكلم الأرض ، ويجد في ذلك راحة كما يجد المريض في التأوه ، والمحزون في الزفير ؛ فإن الهموم إذا ترادفت في القلب ضاق بها ، فإن لم يفض منها شي باللسان ، ولم يسترح إلى الشكوى لم يلبث أن يهلك غما ويموت أسفاً ، وما رأيت الإسعاد أكثر منه في النساء ، فعندهن من المحافظة على هذا الشأن والتواصي بكتمانه والتواطؤ طيه إذا اطلعن عليه ما ليس عند الرجال ، وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين إلا وهي عند النساء ممقوته مستثقلة مرمية عن قوس واحدة . وإنه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن ما لا يوجد عند الفتيات ، لأن الفتيات منهن ربما كشفن ما علمن على سبيل التغاير ، وهذا لا يكون إلا في الندرة ، وأما العجائز فقد يئسن من أنفسهن فانصرف الإشفاق محضاً إلى غيرهن[١] .

" فالصديق هبه من الله يهبها لمن يشاء من عباده وان حضينا بهذا الصديق يجب ان نحافظ على صداقته ومودته لأن هؤلاء الأصدقاء لا يكتسبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفـــاء والاستطلاع والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعليم العلـــم [٢] .

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم : عفيف حاطوم ، ص ٦٠ – ٦١ .

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ص ٣٦٢ .

أنواع الصداقة عند ابن حزم :

وللصداقة عند ابن حزم نوعان :

١ - صداقة أخوان الصفاء ، وعلتها محبة الخير ، وهي علاقة منزهة عن المنفعة والغرض ، ولها صورتـــــان :

(أ) صداقة لله فقط ، فيتصادق القوم في محبة الله ، والسعي لإقامة شرائعه ، ويتناصرون على إيجاد الفضائل .

(ب) صداقة للمحبة المجردة عينها [١] .

٢ - صداقة المنفعة ، ولا تسمى هذه العلاقة صداقة ، إلا مجازا ، وعلة اجتماع الأفراد فيها المنفعة ومن هنا فإنها صور كثيرة ، يبرز ابن حزم منها - ومن خلال تجربته صورتين :

(أ) مصادقة من أقبلت عليه الدنيا ، فصار ذا منصب ، أو ثراء ، أو مائدة ، وتدوم هذه العلاقة ما دام السبب ، وتزول بزواله وعلى الإنسان أن يحذر هذه الصورة الزائفة من الصداقة ، لأن الآخرين يعاملونه فيها باعتباره أداة ، أو موضوعاً ليس غير .

(ب) مصادقة الأرذال ويجسدها المتصادقون " لبعض الأطماع (أو) المتنادمون على الخمر (أو) المجتمعون على المعاصي ، والقبائح والمتألقون على النيل من أعراض الناس " وهؤلاء قوم يجمعهم الظَرف ، والغرض اللا أخلاقي ، فإذا انقضى غرضهم تفرقوا ، وربما تعادوا ، إذا حصل احدهم قدرا من المنفعة أكبر مما حصل غيره .

ينصح ابن حزم بالحرص على الصديق من النوع الأول ، مثلما ينصح بالابتعاد عن الصديق من النوع الثاني ، لأن الارتباط به يقود أما إلى إغضاب الله بمسايرته في ضلاله ، وأما التعرض للومه ، وذمة بالابتعاد عنه ، ولا تساوي هذه الصداقة ، ما يحصل من الهم والحزن بسببها ، أو بسبب منها كالغدر فان أهلها

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

ينكثون العهد فتحل بالإنسان مصائب كثيرة ، من جراء هذا ويعتبر ابن حزم " المصيبة في الصديق الناكث ، أعظم من المصيبة به " [١] .

صفات الصديق الفاضل عند ابن حزم :

ويقترح ابن حزم بعض الصفات الفاضلة التي يجب التحلي بها وبعض النصائح يتوجه بها إلى الأصدقاء منها :

١ - كتمان السر وحفظه ، إن من الخلق أن تكتم سر كل من وثق بك ، وأن لا تفشي إلى أحد من إخوانك ولا من غيرهم من سرك ما يمكنك طيه بوجه ما من الوجوه وإن كان أخص الناس بك ، " لأن من طوى من إخوانك سره الذي يعينك دونك أخون لك ممن أفشى سرك ، لأن من أفشى سرك فإنما خانك فقط، ومن طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك [٢] .

الثقة ، وهي أن يثق الصديق بصديقه ويعلمه بكل ما يخصه حتى يفهمه ويسهل التعامل معه " وأن تفي لجميع من ائتمنك ، ولا تأتمن أحداً على شي من أمرك تشفق عليه إلا عن ضرورة لا بد منها ، فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله تعالى الكفاية [٣] ، **ويقول ابن حزم :** ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ، ولا تثق بالمستخف وإن ظهر انه على دينك من استخف بحرمان الله تعالى فلا تأمنه على شئ مما تشفق عليه [٤] .

٢ - تقديم النصيحة ، إن من أهم واجبات الصديق تجاه صديقه هي النصح والإرشاد يقول ابن حزم في ذلك " النصيحة مرتان ، فالأولى فرض وديانة والثانية تنبيه وتذكير ، وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع وليس وراء ذلك إلا الركل واللطام ، وربما أشد من ذلك من الغي والأذى ، اللهم إلا في معاني الديانة .

---

(١) الأخلاق والسير ، ص ٣٩ .

(٢) الأخلاق والسير ، ص ٣٥٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

فواجب على المرء ترداد النصح ، رضي المنصوح أو سخط ، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ [١] ، وإذا نصحت ففي الخلاء وبكلام لين ، ولا تسند سب من تحدثه إلى غيرك فتكون نماماً . فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير . وقد قال تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ [٢] وقال رسول الله ﷺ : " **لا تنفر** " . وإن نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ولعلك مخطئ في وجه نصحك فتكون مطالباً بقبول خطئك وبترك الصواب ، ولا تنصح على شرط القبول ، ولا تشفع على شرط الإجابة ، ولا تهب على شرط الإثابة ، لكن على سبيل استعمال الفضل وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف .

وبعض أنواع النصيحة يشكل تمييزه من النميمة لأن من سمع إنساناً يذم أخر ظالماً له أو يكيده ظالماً له فكتم ذلك على وجهه كان ربما قد ولد على الذام والكائد ما لم يبلغ استحقاقه بعد من الأذى فيكون ظالماً له ، وليس من الحق أن يقتص من الظالم بأكثر من قدر ظلمه . والتخلص من هذا الباب صعب إلا على ذوي العقول . والرأي للعاقل في مثل هذا أن يحفظ المقول فيه من القائل فقط دون أن يبلغه ما قال لئلا يقع في الاسترسال إليه فيهلك . وأما في الكيد ، فالواجب أن يحفظه من الوجه الذي يكاد منه بألطف ما يقدر في الكتمان على الكائد ، وأبلغ ما يقدر في تحفيظ المكيد ، ولا يزد على هذا شيئاً . وأما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ إليه ، وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً أو بتعريض لا بتصريح إلا لمن لا يفهم فلا بد من التصريح له ، ولا تنصح على شرط القبول منك ، فإن تعديت هذه الوجوه ، فأنت ظالم لا ناصح ، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة ، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة ، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده .

---

(١) الأخلاق والسير ، ص ٣٦٤ .

(٢) سورة طه ، الآية ٤٣ .

ولا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته ، فهذا فعل الأراذل ، ولا تكتمه ما يستضر بجهله فهذا فعل أهل الشر[١] .

١ - المساعدة بكل ما تملك من أجل الصديق واجبه وتشمل تقديم الخدمات المادية والمعنوية ، وتقديم المساندة في السراء والضراء فينصح ابن حزم فيقول وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك أو لم يسألك ولكل من احتاج إليك وأمكنك نفعه وإن لم يعتمدك بالرغبة [٢] .

٢ - العتاب ضرورة من ضروريات الصداقة ، ولكن يستحب أن يكون العتاب لطيف ورقيق لان فيه تبصيراً على الخطأ لإصلاحه ويساعد في ديمومة العلاقة يقول ابن حزم " العتاب للصديق كالسبك للسبيكة ، فإما تصفو وإما تطير ، ومن استبقاك من عاتبك ، وزهد فيك من استهان بشأنك [٣] .

٣ - المسامحة والإيثار يقول في ذلك " إن القضية التي توجب الأثرة من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين أن يتأمل ذلك النازل ، فأيهما كان أمس حاجة فيه وأظهر ضرورة لديه ، فحكم الصداقة والمروءة تقتضي للأخر وتوجب عليه أن يؤثر على نفسه في ذلك ، فإن لم يفعل فهو متغنم مستكثر ، لا ينبغي أن يسامح البتة ، إذ ليس صديقاً ولا أخاً . فأما إذا استوت حاجتهما واتفقت ضرورتهما ، فحق الصداقة ههنا أن يسارع كل واحد منهما إلى الأثرة على نفسه ، فإن فعلا ذلك فهما صديقان ، وإن بدر أحدهما إلى ذلك ولم يبادر الأخر إليه ، فإن كانت عادته هذه فليس صديقاً ولا ينبغي أن يعامل معاملة الصداقة ، وإن كان قد يبادر هو أيضاً إلى مثل ذلك في قضية أخرى فهما صديقان [٤] .

---

(١) الأخلاق والسير ، ص ٣٦٥ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .
(٤) الأخلاق والسير ، ص ٣٦٥ .

المصادر والمراجع

١- **القران الكريم .**

٢- **ابن منظور :** لسان العرب ، القاهرة ، دار المعارف ،ج ٣ ، ١٩٨٠ .

٣- **أبي هلال العسكري :** الفروق في اللغة ، بيروت ط٢ ، دار الأفاق الجديدة ١٩٧٧.

٤- **أبو حيان التوحيدي :** الصداقة والصديق، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٧٢.

٥- **إبراهيم مدكور :** المعجم الوجيز ، دار التحرير المجمع العربي الإسلامي القاهرة ، ١٩٨٠.

٦- **ابن خلكان :** وفيات الأعيان , ج١ مطبوعات دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٦ .

٧- **ابن حزم :** الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ت إحسان عباس ، ج١ ، ط٢ ، المؤسسة العربية بدراسات والنشر، ١٩٧٨ .

٨- **أبو محمد الحسن الحرابي :** التحف العقول، مطبعة شريعت، ايران١٤٢١هـ.

٩- **الشاذلي يحي :** ابن شهيد الأندلسي , مؤسسة عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٩٣ .

١٠- **بغية الملتمس :** للضبي , مطابع روخس بمدينة مجريط ، ١٨٨٤ .

١١- **سعاد الحكيم :** المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١ .

١٢- **صلاح الدين بسيوني :** الأخلاق والسياسة عند ابن حزم , مكتبة نهضة الشرق مصر ١٩٧٨ .

١٣- **طبقات الأمم :** للقاضي صاعد , نشر الأب شيخو ، بيروت ١٩١٢ .

١٥- **عفيف نايف حاطوم :** طوق الحمامة لابن حزم ، دار صادر بيروت ، ط١ ٢٠٠٣ .

١٦- **عبد المحسن الفاحي** : الصحبة الصداقة الاخوة ، دمشق ١٩٩٧ .

١٧- **فرانسوا أيوب** : ترجمة قاموس لاروس الفلسفي ، بلا ت .

١٨- **محمد الرشهري** : ميزان الحكمة ، ج ٤، مؤسسة دار الحديث ، إيران ١٤١٧هـ .

١٩- **نفح الطيب** : للمقري , ت إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٢ .

٢٠- **هادي المدرسي** : الصداقة والأصدقاء ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ١٩٨٥ .

٢١- **ياقوت الحموي** : معجم الأدباء ، ت إحسان عباس ، ط١ ، ج٤ ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣ .